مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
Anbar University Journal Of Islamic Sciences
P. ISSN: 2071-6028 E. ISSN: 2706-8722
Volume 16- Issue 3 - September 2025 | المجلد 16- العدد 3 –أيلول 2025م

إبراهيم بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم دراسة نصية تحليلية مقارنة

يسرا ماجد الزيدان

جامعة قطر / كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

1- الإيميل: yalzaidan@qu.edu.qa

DOI: 10.34278/aujis.2025.189026

تاريخ استلام البحث: 2024/10/3م

تاريخ قبول البحث للنشر: 2024/12/16م

تاريخ نشر البحث: 2025/9/1م

الكلمات المفتاحية:
المسيحية، اليهودية، الإسلام، العقيدة، فلسطين.

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص

تُناقش هذه الورقة علاقة إبراهيم عليه السلام بالإبراهيمية كأيديولوجيا سياسية مناقشة دينية نصية، حيث تدرس وتحلل شخصية إبراهيم عليه السلام في كل من التنخ اليهودي، والكتاب المقدس المسيحي، والقرآن، ثم بناء على ذلك تنظر في إمكانية اتخاذ إبراهيم عنصرا جامعا بين اليهودية والمسيحية والإسلام ومُؤسسا لما يُسمى بالإبراهيمية.

وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج أبرزها: أن شخصية إبراهيم مختلفة اختلافا جذريا في التنخ عنها في الكتاب المقدس المسيحي عنها في القرآن الكريم سواء من حيث العقائد والنظرة إلى الوجود أو التشريعات والقيم، ومن ثم لا يمكن اتخاذه عنصرا جامعا بين الديانات الثلاثة فضلا عن أن يؤسس به ما يُسمى بالإبراهيمية، بل ينبغي فك الارتباط بين إبراهيم والإبراهيمية المحدثة. إبراهيم في التناخ جاء في سياق تثبيت المفاهيم القومية، بينما جاء في الكتاب المقدس المسيحي في سياق البشارة بعيسى المخلص وما ارتبط به من العقائد التي أسسها بولس بعد عيسى، أما في القرآن فقد جاء في سياق الدعوة إلى التوحيد.

Abraham between the Bible and the Qur'an An analytical comparative textual study

Yousra Majed Al-Zaidan

Qatar University / College of Sharia and Islamic Studies

1: Email:

yalzaidan@qu.edu.qa

Abstract:

This paper discusses the relationship between Abraham and Abrahamism as a Political ideology, a religious textual discussion. It studies and analyzes Abraham's character in the Jewish Tanakah, The Christian Bible, and The Qur'an. Based on that, it considers the possibility of taking Abraham as a Unified element between Judaism, Christianity and Islam, and establishing what called Abrahamism .

The paper concluded with several results, some of the most important are: Abraham's character is completely different in the Tanakh, from the one in the Christian Bible than in the Holy Qur'an, whether in the terms of beliefs, worships or worldview. therefore he cannot be taken as a unifying element between the three religions nor can he consider as the fundamental base of Abrahamism.

DOI: 10.34278/aujis.2025.189026

Submitted:	**3/10 /2024**
Accepted:	**16 /12 /2024**
Published:	**1 /9 /2025**

Keywords:
Christianity, Judaism, Islam, Creed, Palestine.

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تتعالى الكثير من الأصوات اليوم على مستوى المؤسسات والدول بالدعوة لما يُمسى بـــ "الإبراهيمية"، وهي دعوى ذات طابع سياسي – أيديولوجي في المقام الأول تعمل على توظيف شخصية إبراهيم الدينية للتقريب بين اليهودية والمسيحية والإسلام بغرض دفع أتباع الأديان الثلاثة نحو "التعاون لتعزيز السلام العالمي وتخفيف حدة الصراع بينهم"[1]، فيُتخذ إبراهيم عليه السلام نقطة الالتقاء بين الديانات الثلاث،[2] حيث ورد ذكر إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) في الكتاب المقدس اليهودي (التنخ)[3] وفي الكتاب المقدس المسيحي (المكون من العهدين القديم والجديد) وفي القرآن الكريم، ومن ثم فاليهود والمسيحيون والمسلمون كلهم أبناء إبراهيم، وذلك أن

(1) يُنظر على سبيل المثال ما ذُكر بهذا الخصوص في تقرير معهد الولايات المتحدة للسلام، وقد يلحظ القارئ أن السلام المزعوم تحقيقه ليس سلاما عادلا، فهو لا يمس أصل قضية احتلال الصهاينة لأرض فلسطين، بل يكتفي بذكر أن الصهاينة اليهود وجيرانهم الفلسطينيين لابد أن يحترموا حقوق بعضهم البعض دون أن يعني ذلك تخلي اليهود عن حقهم في الدفاع عن أنفسهم!
See: Thistlethwaite, Susan. Stassen, Glen. (2008) , "Abrahamic Alternatives to War: Jewish, Christian, and Muslim Perspectives on Just Peacemaking", United States Institute of Peace Special Report, https://www.usip.org/publications/2008/10/abrahamic-alternatives-war-jewish-christian-and-muslim-perspectives-just ., Watched 22 June 2024

(2) تناولت العديد من الدراسات خلفيات الدعوة إلى الديانة الإبراهيمية وممهداتها، يُنظر على سبيل المثال: "الإبراهيمية الجديدة خديعة أمريكية صهيونية"، مركز الاتحاد للأبحاث والتطوير، على الرابط: https://2u.pw/0d8Fykzp، شوهد بتاريخ 19 أبريل 2024.

(3) يُطلق هذا المصطلح على الكتاب المقدس العبري، وهو اختصار لأقسامه الثلاثة، (ت Ta) : اختصار لكلمة توراة وهي القسم الأول، (ن Na) : اختصار لكلمة النبوات أو نافئيم بالعبرية وهي القسم الثاني، (خ Kh) : اختصار لكلمة مكتوبات أو كِتوفيم بالعبرية وهي القسم الثالث.
See: "Tanakh", Britannica, https://www.britannica.com/topic/Tanakh , Watched 22 April 2024.

موسى جاء من نسل إسحاق بن إبراهيم، وعيسى عليه السلام يربطه العهد الجديد بنسب إبراهيم عليه السلام وصولا إلى آدم عليه السلام رغم كونه وُلد بدون أب أصلا، ومحمد ﷺ جاء من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعا أفضل الصلوات وأتم التسليم، وبما أن جميع هؤلاء يرتبطون في النسب إلى إبراهيم أول الموحدين؛ فالمؤمنون باليهودية والمسيحية والإسلام إخوة في الإيمان وإبراهيم أبٌ لهم جميعا، ويمكن التقريب بين أديانهم إلى الحد الذي قد يضرب التمايز العقدي وقواعد الولاء والبراء.

ومع اتخاذ بعض الدول إجراءات عملية لتنزيل تلك الدعوات على أرض الواقع كما في اتفاق أبراهام،[1] وبيت العائلة الإبراهيمية[2] والصلاة الإبراهيمية الموحّدة[3]، أصبح من الأهمية بمكان التدقيق في دعوى الديانة الإبراهيمية وعلاقتها بنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام من خلال دراسة شخصية إبراهيم في الكتب الثلاثة بناء على الترتيب الزمني ابتداء من التنخ ثم الكتاب المقدس المسيحي وانتهاء بالقرآن الكريم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المقارنة بين شخصية إبراهيم في الكتب الثلاثة مقارنة مع اعتبار الفارق، ففي حين طالت التناخ والعهد الجديد يد التحريف؛ حُفِظَ القرآن الكريم من ذلك.

---

(1) see: "The Abraham Accords Declaration", U.S. Department of state, on: https://www.state.gov/the-abraham-accords/. Watched 24 Sep 2024.

(2) يُنظر: "بيت العائلة الإبراهيمية"، موقع اللجنة العليا للأخوة الإنسانية، على الرابط: https://2u.pw/wkIoZZBW، شوهد بتاريخ 22 مارس 2024.

(3) يُنظر: محمد علي حسن. (2021) ، "تفاصيل الصلاة الإبراهيمية التي سيؤديها بابا الفاتيكان مع المسلمين واليهود"، الوطن، على الرابط: https://www.elwatannews.com/news/details/5355752، شوهد بتاريخ: 22 مارس 2024.

وأيضا: "البابا يشارك في صلاة بين الأديان ضد كورونا مغضبا الكاثوليك المتشددين"، Reuters، على الرابط: https://www.reuters.com/article/idUSKBN22Q33E/، شوهد بتاريخ 3 مايو 2024

إشكالية البحث وأسئلته: بناء على ذلك تناقش هذه الدراسة إشكالية الإبراهيمية

في سياق نصي ديني، والسؤال الرئيس الذي تطرحه هو: هل يمكن اتخاذ إبراهيم عليه السلام نقطة اتفاق بين اليهودية والمسيحية والإسلام لتأسيس الإبراهيمية المُحدثة؟

وينبثق عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

1. كيف عرض التنخ شخصية إبراهيم عليه السلام؟
2. كيف عرض الكتاب المقدس المسيحي شخصية إبراهيم عليه السلام؟
3. كيف عرض القرآن الكريم شخصية إبراهيم عليه السلام؟

أهداف البحث:

1. النظر في دعوى اتخاذ إبراهيم نقطة الاتفاق بين اليهودية والمسيحية والإسلام لتأسيس الإبراهيمية المُحدثة.
2. التعرف على شخصية إبراهيم في التوراة.
3. التعرف على شخصية إبراهيم في الكتاب المقدس المسيحي.
4. التعرف على شخصية إبراهيم في القرآن الكريم.

منهج البحث:

يعتمد البحث بشكل أساس على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم وصف شخصية إبراهيم كما هي موجودة في التنخ والكتاب المقدس المسيحي والقرآن الكريم وتحليلها، ثم المقارنة فيما بينها في نطاق ضيق، إضافة إلى استخدام النقد في بعض المواضع وفق الاقتضاء، مع مراعاة الأمانة العلمية والحرص على الرجوع إلى المصادر الأصلية قدر الاستطاعة.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات التي تناولت شخصية إبراهيم في الديانات الثلاثة، وفيما يلي نذكر أبرز ما وقفنا عليه من الدراسات:

الدراسة الأولى: القيم الإبراهيمية ونهاية التاريخ: الأبعاد الفلسفية والأخلاقية لإشكالية الاعتراف بالآخر مقارنات دينية ومقاربات سياسية، لعبد المجيد الصغير[1].

تجمع هذه الدراسة بين الجوانب الفلسفية والتاريخية والأخلاقية والدينية، وقد تطرقت في بعض مباحثها لتحليل القيم التي ارتبطت بإبراهيم عليه السلام في العهد القديم والقرآن الكريم فيما يتعلق بعلاقته بالآخرين خصوصا، وقد استفاد الباحث من تحليلاتها العميقة في هذا المجال.

الدراسة الثانية: الإبراهيمية بين السياقات الدينية والاستخدامات السياسية، لعبد الحق دحمان[2].

وقد عرّفت الدراسة بإبراهيم عليه السلام ورسالته وفقا للقرآن الكريم دون الكتاب المقدس، ثم ركزت على تتبع نشأة وتطور فكرة الديانة الإبراهيمية ودوافعها وتطبيقاتها على أرض الواقع، وقد خلصت الدراسة إلى أن طرح فكرة الأديان الإبراهيمية وفق منطق السياسة يضعنا وجها لوجه أمام خطر الهوية الدينية وانتفاء الخصوصية العقدية والتشريعية للدين الإسلامي، بل أن الدعوة إلى الديانة الإبراهيمية إنما هو بوابة لتمرير التطبيع مع الكيان الصهيوني.

الدراسة الثالثة: الإبراهيمية في سياق البحث العقدي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية، ليوسف بنلمهدي[3].

وهي دراسة قيّمة تتناول وتُفنّد الأيديولوجيا الإبراهيمية من عدة زوايا تاريخية وسياسية ودينية، وحيث تعمل على تتبع الجذور التاريخية لفكرة جمع أتباع الأديان الثلاثة تحت مسمى الإبراهيمية، وتبحث في الأُسس الدينية التي استند عليها

---

(1) عبد المجيد الصغير. *القيم الإبراهيمية ونهاية التاريخ*. (الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، 2022) .

(2) عبد الحق دحمان. *الإبراهيمية بين السياقات الدينية والاستخدامات السياسية*. (إسطنبول: مركز المجدد للبحوث والدراسات، 2022) .

(3) يوسف بنلمهدي. "الإبراهيمية في سياق البحث العقدي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية"، *مجلة الاستناد*، ع10، ص1-37.

الداعين للإبراهيمية، وتعرض أبرز اختلاف شخصية إبراهيم بين الكتاب المقدس العبري والكتاب المقدس المسيحي والقرآن الكريم، وتتناول الأبعاد السياسية الخطيرة للإبراهيمية، وقد خلصت الدراسة إلى أن الإبراهيمية مصطلح حادث متحول وفيه من التمويه والخداع الديني والتاريخي والقيمي أكثر مما فيه من الصدق والمصداقية والرغبة في الحوار والسلام.

الدراسة الرابعة: ملة إبراهيم عليه السلام بين اليهودية والإسلام: دراسة مقارنة في أسفار العهد القديم والقرآن الكريم، لعيسى حسين عبد السيد[1].

وهي رسالة ماجستير تقارن بين عرض كل من القرآن والعهد القديم لملة إبراهيم عليه السلام، وقد خلص الباحث إلى أن اختلاف النظرة القرآنية لملة إبراهيم عن النظرة التوراتية، وأكد على توحيد إبراهيم ورد شبه الشرك التي رُبِطت به.

الدراسة الخامسة: Abrahamic Dreaming: Is Abraham a Point of Unity for Islam, Christianity, and Judaism? لـــ Mark Durie[2].

يتساءل الباحث حول إمكانية اتخاذ إبراهيم عليه السلام كنقطة جامعة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ويعرض جانبا من النصوص الكتابية والقرآنية التي تناولت قصة إبراهيم وشخصيته، ويخلص إلى أن أصول الترويج "للإيمان الإبراهيمي" باعتباره محكا للحوار الديني بين الأديان الثلاثة ترجع إلى المدينة الفاضلة التي كان يعيش فيها المسيحيون واليهود والمسلمون جنبا إلى جنب في إطار الحكم الإسلامي، ويندد الباحث بمفهوم "الديانات الإبراهيمية" إذ يرى أن فرض هذا

---

(1) عيسى حسين عبد السيد. "ملة إبراهيم عليه السلام بين اليهودية والإسلام: دراسة مقارنة في أسفار العهد القديم والقرآن الكريم"، (رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، السودان: جامعة أم درمان الإسلامية، 2007) .

(2) Durie, Mark.(2021) , "Abrahamic Dreaming: Is Abraham a Point of Unity for Islam, Christianity, and Judaism?", on: Middle east forum. https://www.meforum.org/abrahamic-dreaming. Watched 17 Sep 2014.

المفهوم على الغرب سيؤدي إلى تعزيز النظرة الإسلامية الكلية للعلاقات بين الأديان وهي نظرة تتعارض مع ما يقدمه الكتاب المقدس من فهم للعلاقات.

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في كونها دراسة نصية تفصيلية مقارنة بين التنخ اليهودي والكتاب المقدس المسيحي والقرآن الكريم، حيث تتتبع شخصية إبراهيم في الكتب الثلاثة وتلاحظ ما ارتبط به من القيم والعقائد والتشريعات، إذ أن الجذر الذي تطورت منه الإبراهيمية هو كون إبراهيم عليه السلام شخصية مشتركة بين الديانات الثلاثة، ولذلك من المهم الرجوع إلى الجذور دراسة وتحليلا.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث بمطالبها، وخاتمة لأهم النتائج على النحو الآتي:

- ✓ **المبحث الأول: إبراهيم في التنخ**
  - **المطلب الأول:** إبراهيم من حيث الذات والغاية.
  - **المطلب الثاني:** إبراهيم وعلاقته بالآخرين.
- ✓ **المبحث الثاني: إبراهيم في الكتاب المقدس المسيحي**
  - **المطلب الأول:** إبراهيم من حيث الذات والغاية.
  - **المطلب الثاني:** استفادة بولس الرسول من شخصية إبراهيم عليه السلام.
- ✓ **المبحث الثاني: إبراهيم في القرآن الكريم**
  - **المطلب الأول:** إبراهيم من حيث الذات والغاية.
  - **المطلب الثاني:** إبراهيم وعلاقته بالآخرين.

المبحث الأول: إبراهيم في التنخ.

إن القارئ للتنخ يلحظ أن من أهم سماته سرد الأحداث وفقا للتسلسل التاريخي، فيبدأ أول أسفار التوراة وهو سفر التكوين بسرد قصة الخلق وخلق الإنسان الأول –آدم عليه السلام– وتتسلسل القصة مرورا بجملة من الشخصيات منها نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم، مع الاهتمام الكبير بذكر سلسلة النسب عند التعريف بكل شخصية تقريبا، وبناء على هذه السمة الأساسية؛ نلحظ أن قصة إبراهيم عليه السلام ذكرت كاملة وبشكل مفصل في موضعها –وفقا للتسلسل التاريخي– في سفر التكوين ابتداء من الإصحاح 11 الذي ذكرت فيه سلسلة نسب إبراهيم عليه السلام، وحتى الإصحاح 25 الذي تحدث عن وفاة إبراهيم ودفنه.

أما ما ذكر في بقية الأسفار أو حتى في مواضع أخرى من سفر التكوين ذاته؛ لا يعدو أن يكون تأكيدا لبعض الأفكار الواردة في قصة إبراهيم الكاملة وأبرز تلك الأفكار: تأكيد ارتباط إبراهيم بنسب بني إسرائيل فهو أبٌ لهم، وتذكير بالعهد الذي قطعه الإله مع إبراهيم والوعد بالأرض، وأخيرا ذكر إبراهيم عند إيراد سلسة النسب بالنسبة لإسحاق وإسماعيل، ويعقوب وأسباطه وهلم جرا، وسيتضح المقصود فيما سيأتي من المطالب.

المطلب الأول: إبراهيم من حيث الذات والغاية.

يتناول هذا المطلب إبراهيم عليه السلام من حيث ملامح شخصيته الذاتية والغاية أو الهدف من حياته ووجوده على النحو الآتي:

أولا: إبراهيم بين الأبوة والنبوة:

إن النبي في اليهودية هو من يتلقى الوحي الإلهي، جاء في الموسوعة اليهودية– أن النبي هو: "فرد ذو شخصية كريزماتية يتمتع بالهبة الإلهية المتمثلة بتلقي الرسائل الإلهية ونقلها[1] ، ورغم أن الموسوعة ذاتها تؤصل لمصطلح النبوة

(1) See: **Encyclopaedia Judaica**, Editor in chief Fred Skolnik, (Thomson, Gale) , 2ed, Vol.16, p.g:567.

بإبراهيم عليه السلام، حيث تذكر أن "المصطلح العبري للنبي ʾnavi المشابه للفعل الآكادي nabû "يدعو To call" أي "مَن دُعِيَ" ينطبق أولا على إبراهيم، فهو يستحق هذا اللقب بسبب دوره كوسيط"، ثم تستشهد الموسوعة بالفقرة الوحيدة في سفر التكوين التي تُطلق على إبراهيم لقب النبي وذلك في سياق أمر أبيمالك برد سارة إلى إبراهيم: (والآن رد امرأة الرجل، فهو نبي يصلي لأجلك فتحيا)[1].

لكن الغريب هو أن الموسوعة عند الحديث عن إبراهيم تصفه بأنه "أول آباء شعب إسرائيل"[2]، ولا تركز عليه باعتبار نبوته، وقد يوضح الدكتور محمد خليفة حسن هذا الإشكال أو الارتباك في إطلاق وصف النبوة أو الأبوة على إبراهيم في كتابه تاريخ الديانة اليهودية كالآتي: "من المشاكل التي يتعرض لها الباحث في التأريخ للنبوة الإسرائيلية، مشكلة تحديد بداية النبوة ونهايتها.." ثم يُكمل معقبا: "أما في التراث اليهودي فتبدأ النبوة في مرحلة متأخرة من الزمان حيث يُنظر إلى كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون على أنهم مجموعة من الآباء الإسرائيليين الذين تلقوا نوعا من الوحي الإلهي، ولكنهم يرتبطون ببني إسرائيل بنسبهم، ولهذا أطلق عليهم اسم الآباء إشارة إلى هذه الرابطة العرقية، ونادرا ما يستخدم التعبير "أنبياء" للتعريف بهذه المجموعة ... فكل الشخصيات السابقة على موسى عليه السلام في التراث اليهودي يجمعهم جميعا لقب "البطاركة" أو "الآباء" بما يعني أنهم كانوا بمثابة رؤساء وشيوخ لقبائلهم وعشائرهم، وأن وظيفتهم كانت سياسية اجتماعية أكثر منها دينية، وكثيرا ما يضم التراث اليهودي موسى وهارون إلى مجموعة البطاركة رغم وضوح التأكيد التوراتي على أن موسى نبي"[3].

1() See: Ibid.7 :20،تك

(2) See: Ibid, Vol.1, p.g:280

(3) محمد خليفة حسن. *تاريخ الديانة اليهودية*. (القاهرة: دار قباء، 1998) ، ص111–112.

وجدير بالذكر أنه نكاد لا نجد في التنخ كاملا فقرة تصرح بأن إبراهيم نبي إلا فقرة سفر التكوين التي ذُكِرت سابقا[1]، أما بقية الفقرات التي ذُكِر فيها إبراهيم، فقد وصف فيها بأنه أب، وسنلحظ اهتمام التوراة بربط إبراهيم بنسب نبي إسرائيل وربط العهد والبركة الممنوحتين لإبراهيم بالعرق والنسب كذلك، أكثر من اهتمامها بإبراز مسألة التوحيد ورمزية إبراهيم الدينية ودوره الديني.

وعلى أية حال، ما يهمنا هنا هو أن التنخ ركز في تناوله لشخصية إبراهيم على كونه أبا تنتسب له جماعة بني إسرائيل بما ارتبط بتلك الأبوة من عهد واختيار وبركة، ولم يركز عليه كنبي ذو مهمة دينية لإيصال رسالة الإله وهدايته لبني إسرائيل رغم تلقيه وحيا من الإله، وهذا التركيز على العهد المقام على أساس العرق سيلعب دورا في توصيف علاقة الإله ببني إسرائيل وطريقة التزام الأخيرة بتعاليم الإله.

ثانيا: ربط إبراهيم بالغايات القومية اليهودية من العهد والوعد والاختيار والبركة.

من أهم المفاهيم التي يُرسخ التنخ ربطها بإبراهيم هي مفاهيم الاختيار الإلهي العرقي غير المشروط، ومباركة نسل إبراهيم من ابنه إسحاق، والوعد الأبدي بالأرض بغض النظر عن مدى التزام الجماعة اليهودية بأوامر الإله ووصاياه، وبغض النظر عما إذا كانت تلك الأرض الموعودة مأهولة بالسكان أم لا، ونلحظ التأصيل لهذه المفاهيم منذ اللحظة الأولى لظهور شخصية إبراهيم في سفر التكوين، فبعد أن ذكر السفر نسب إبراهيم عليه السلام، روى قصة هجرته مع والده تارح من أور الكلدانيين وذلك (ليذهبوا إلى أرض كنعان، فجاؤوا إلى حاران وأقاموا هناك،

(1) أحد التفسيرات الممكنة لسبب وصف إبراهيم بالنبوة في هذه الفقرة من سفر التكوين، هي نظرية تعدد المصادر، ونظرا لضيق البحث، نحيل القارئ لمرجع مفيد بهذا الخصوص: محمد خليفة حسن. *علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية*. (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1988) .

وكان عمر تارح مئتين وخمس سنين، ومات تارح في حاران)[1]. نرى إذا أن إبراهيم كان متجها أساسا إلى أرض كنعان، ولا نلحظ وجود أي نزاع ديني بينه وبين والده، بمعنى أن الهجرة لم تكن لدافع ديني، وإنما كانت لدوافع دنيوية، فقد أراد إبراهيم أن يدخل أرض كنعان مع والده إلا أن الأخير مات في حاران قبل أن يتحقق ذلك، وبعد موت تارح يبدأ الوحي الإلهي لإبراهيم، وأول ما بدئ به الوحي هو: (وقال الرب لأبرام: ارحل من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك، ويتبارك بك جميع عشائر الأرض)[2]. نرى إذا أن أول ما بُدِئ به الوحي هو الوعد والبركة وليس التأكيد الصريح على التوحيد والعبادة، إذ لا ذكر لأي معنى عقدي أو ديني مرتبط بهجرة إبراهيم عليه السلام.

ثم تتسلسل القصة حتى نصل إلى نقطة الوعد الأبدي غير المشروط بالأرض، حيث يقول الرب لأبرام: (ارفع عينك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا فهذه الأرض كلها أهبها لك ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض، فإن أمكن أن يحصيه، فنسلك أيضا يُحصى. قم امش في الأرض طولا وعرضا، لأني لك أهبها)[3].

وبعد ذلك يأتي الوعد المؤكد بالأرض التي تسكنها شعوب بالفعل، أي : أنها ليست أرضا خالية، ومن هنا يبدأ الترسيخ لفلسفة الاستيلاء على الأراضي بناء على الوعد الإلهي بالأرض الذي لا يقبل الإلغاء حتى وإن عصت الجماعة اليهودية، يقول الرب قاطعا عهده مع أبرام (لنسلك أهب هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات، وهي أرض القينيين والقنزيين والقدميين ....)[4].

---

(1) تك،11: 31-32

(2) تك،12: 1-3

(3) تك،13: 14-17

(4) تك،15: 18-21

جدير بالذكر أن القصة تستمر بالتسلسل حتى نصل إلى لحظة فارقة وهي لحظة تغيير اسم أبرام إلى إبراهيم وتجديد العهد وتأكيده له ولنسله من بعده، فلما بلغ أبرام عمر 99 تراءى له الرب وقال له: (هذا هو عهدي معك: تكون أبا لأمم كثيرة ولا تسمى أبرام بعد اليوم، بل تسمى إبراهيم، لأني جعلتك أبا لأمم كثيرة سأنميك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك من نسلك يخرجون، وأقيم عهدا أبديا بيني وبينك وبين نسلك من بعدك، جيلا بعد جيل، فأكون لهم إلها ولنسلك من بعدك، وأعطيك أنت ونسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكا مؤبدا وأكون لهم إلها)[1]. ثم يخاطب الإله إبراهيم مؤكدا على ضرورة حفظ العهد جيلا بعد جيل وأن علامة العهد هي الختان، يقول الرب مخاطبا إبراهيم (.. يختن كل ذكر منكم، فتختنون الغلفة من أبدانكم، ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم)[1].

إن هذه المفاهيم ستظل تسيطر على كامل رواية التوراة للتاريخ، فسنجدها حاضرة بقوة في علاقة إبراهيم بابنيه إسماعيل وإسحاق، وكذلك في علاقة إسحاق بابنيه يعقوب وعيسو، ثم علاقة يعقوب بأبنائه وهكذا وصولا إلى موسى عليه السلام ومن بعده، بل سيتم تذكير الإله ذاته بتلك المفاهيم عندما يتوعد بإهلاك جماعة بني إسرائيل بسبب عصيانهم.[2]

ثالثا: الغاية من هجرة إبراهيم عليه السلام هي الاستيلاء على الأراضي واكتساب الغنائم المادية.

أشرنا فيما تقدم إلى أن الغرض الذي يذكره التنخ لهجرة إبراهيم لم يكن بغية الدعوة إلى التوحيد، وإنما كانت الهجرة بغية الاستيلاء على الأراضي واكتساب المغانم المادية، فهجرة إبراهيم برفقة والده وزوجته ولوط من أور الكلدانيين إلى حاران لم تكن بغية هدف ديني لأن وحي الإله لإبراهيم بدأ بعد موت والده في

---

(1) تك،17: 1-8

(1) تك،17: 9-11

(2) يُنظر: (تك،28: 1-4) ، (خر،3: 4-8) ، (خر،32: 9-14) ، (لا،26: 40-45) ، (تث،9: 4-9) ، (2مل،13: 22-23) ، (نح،9: 7-8)

حاران، وأول ما بدئ به الوحي –كما ذكرنا مسبقا– هو أمر الإله لإبراهيم بالرحيل من أرض أبيه وعشيرته إلى الأرض التي يريه ليباركه ويكثره لا لمهمة دينية، وفي ذلك يورد الدكتور عبد المجيد الصغيّر عددا من الأدلة من فقرات التوراة تدل على أن إبراهيم عليه السلام قد صُوِّرَ في التوراة بصورة الإنسان الجشع الذي يحتقر الأمم التي يعيش بينها والذي يستعى لتضخيم ثروته منذ اللحظة الأولى، ابتداء من تواجده في حاران حيث "كانت تلك الفترة كافية ليجمع إبراهيم ثروة واسعة من الأثاث والعبيد قبل أن يصل إلى أرض مسكونة معروفة بخيراتها وبلبنها وعسلها وبسكانها الأصليين من الكنعانيين، ليظهر له الرب قائلا له: (لنسلك أعطي هذه الأرض)"[3]، جاء في التكوين: (فرحل أبرام كما قال له الرب، ذهب مع لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران. وأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل ما كان يمتلكه هو ولوط، والعبيد الذين حصلا عليهم في حاران وخرجوا قاصدين أرض كنعان) [1] .

ثم يستكمل ذلك السعي في مصر بل ويستغل امرأته سارة في سبيل ذلك، "فيقبل، وهو المهاجر الطالب لثروة والمتاع، يقبل التضحية بزوجته فيحولها إلى وسيلة قابلة للاستغلال، وذلك حينما تتحول إلى مجرد أخته، ابنة أبية وغير مرتبطة بزوج، فلا يقوم عندئذ عائق يحول بينها وبين الزواج من فرعون مصر" [2] بل إن إبراهيم في التوراة أفصح لزوجته عن سبب رغبته في أن تخبر المصريين بأنها أخته "حيث قال إبراهيم لزوجته قبيل دخولهم مصر: (إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك)" [3] فلم يقل قولي أنك اختي حتى أتمكن من إيصال رسالة التوحيد أو ما شابه؛ بل قولي أنك أختي ليكون

(3) المصدر نفسه، الصغيّر، ص46.
(1) تك،12: 4-5
(2) تك،12: ، ص47.
(3) المصدر نفسه، ص47-48.

لي خير بسببك! وهذا بالفعل ما حدث، فقد تحول إبراهيم "من راع هارب من المجاعة ومهاجر مغترب إلى غني مقيم في أرض مصر .. بل إن مقايضة استقرار إبراهيم بمصر بجمال زوجته قد عم خيره حتى لوط الذي صار غنيا هو الآخر؛ فلم يخرجا، إبراهيم ولوط من مصر عائدين إلى بلاد كنعان إلا وقد جمعا مالا عظيما (وكان أبرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب..)". [4]

وتتكرر ذات الاستراتيجية –استراتيجية استغلال جمال الزوجة– في أرض كنعان حتى بعد أن شاخت ساراي وتغير اسمها إلى سارة وتغير اسم أبرام أيضا إلى إبراهيم وأخذا الوعد بالأرض من الإله، فقد "كرر إبراهيم مبدأه الأثير لديه قائلا لزوجته: (في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي) ... وكانت نتيجة هذه الخطة الإبراهيمية الدائمة شبيهة بل مطابقة لتجربته مع فرعون مصر .. حيث سيغري جمال سارة رغم هذه السن المتقدمة، ملك جرار "أبيمالك" فيرغب في الزواج منها"[1] لكن عندما يكتشف أبيمالك أن سارة هي زوجة إبراهيم ويسأله عن سبب ذلك فيشرح له إبراهيم السبب؛ يعاتب أبيمالك إبراهيم على سوء نيته به ويمنحه غنما وبقرا وعبيدا وجواري ويعيد له زوجته سارة ويقول له: (هذه بلادي بين يديك فأقم حيثما طاب لك...). [2]

ويذكر الدكتور أن إنشاء إبراهيم مذابح للرب في مناطق متفرقة لم يكن بغية ترسيخ معاني العبادة والتوحيد إذ لا توضح التوراة "لأثر هذا الفعل على المحيط من الناس؛ اللهم إلا ما كان من اتخاذ "مذبح الرب" هذا عربونا على شراء أراضي الغير والعودة إليها من جديد ووضع اليد على آبارها ومصادر المياه فيها وحقولها مع توثيق ملكيتها والحرص على الإشهاد على كل ذلك!" [3].

---

(4) المصدر نفسه، ص48.

(1) المصدر نفسه، ص48–49.

(2) ينظر: تك،12: ، ص49. تك،20: 14–16.

(3) المصدر نفسه، ص46–47.

ولن نتناول هنا وصية إبراهيم لكبير خدمه أن يزوج ابنه إسحاق من امرأة من أرض عشيرته دون أن يعيد إسحاق إلى تلك الأرض، فهذا ما سنفصل فيه النقطة الآتية، لكن يكفينا أن نختم هنا أن التوراة عندما وصفت إبراهيم عند موته كان وصفها كالآتي: (وكان عدد السنين التي عاشها إبراهيم مئة وخمسا وسبعين سنة وفاضت روح إبراهيم ومات بشيبة صالحة، شيخا شبع من الحياة، وانضم إلى آبائه) [1] ، نلاحظ هنا أنه لا ذكر لأي قضية دينية وتوحيدية، وإنما ذكر للغنى المادي وتأكيد على المعنى العرقي، فإبراهيم شبع من الحياة مما جمعه من ثروة رغم وعد الإله له بالأرض ميراثا له ولنسله من بعده، وانضم إلى آبائه في النسب دون الإشارة إلى معاني الانتماء للدين والعقيدة [2].

المطلب الثاني: إبراهيم وعلاقته بالآخرين

يتناول هذا المطلب علاقات إبراهيم بالآخرين سواء على مستوى الأمم الأخرى غير الإسرائيلية، أو على مستوى علاقته بابنيه إسماعيل وإسحاق أو غيره، وكيف أن ملامح شخصية إبراهيم الذاتية والغاية من حياته ووجوده السابق ذكرها انعكست على

تعامله مع غيره من البشر.

أولا: ربط إبراهيم عليه السلام بالنفس العنصري تجاه الأمم الأخرى.

ونلحظ هذا النفس العنصري في سياقات عدة، نذكر منها رفض إبراهيم تزويج ابنه إسحاق من بنات الكنعانيين الذي أكرموه وأحسنوا جواره، وإطاعته لزوجته سارة في طرد جاريته هاجر المصرية أم ابنه إسماعيل، وفيما يلي شيء من التفصيل.

---

(1) تك،25: 7-8.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص53.

لقد برعت التوراة في إظهار إبراهيم عليه السلام بمظهر الإنسان المستفيد من الأمم والشعوب التي يقطن بينها دون أن يشعر بالرحمة والمودة والألفة مع هذه الشعوب، فهو يستفيد من تلك الشعوب ومن خيرات بلادها لكنه يرفض الارتباط بهم برباط النسب، وقد يظن البعض أن السبب وراء ذلك هو أن تلك الشعوب كانت وثنية، لكن لو دققنا في رواية التوراة؛ فلن نجد إشارة إلى أن أرض عشيرة إبراهيم عليه السلام كانوا يعرفون إله إبراهيم، بل إن هجرة إبراهيم برفقه والده –كما ذكرنا فيما تقدم– لم تكن ذات هدف ديني، أي لا وجود لخلاف ديني بين إبراهيم وأبيه دفع الأول للهجرة وحده وترك أرض عشيرته، كما أن الرب تراءى لإبراهيم في حاران بعد موت والده لا قبل ذلك، فلماذا يُصرّ إبراهيم على أن يتزوج ابنه إسحاق من أرض عشيرته التي لا تذكر التوراة دينها بل على الأغلب هي أيضا غير موحدة؟ ما يمكن استنتاجه هو أن التوراة أرادت من خلال إبراهيم الحفاظ على نقاء السلالة والعرق ولذلك أقصت إسماعيل من المشهد –كما سنرى لاحقا– لأن أمه مصرية وليست من أرض عشيرته، وهذا يؤكد على الفكرة التي ذكرناها مسبقا وهي أنه قد تم التعامل مع إبراهيم من منطلق العرق والنسب أكثر بكثير من منطق الدعوة والتوحيد، ونورد هنا نصا فيما يخص هذه النقطة، حيث يقول إبراهيم لكبير خدمه: (ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرب إله السماء والأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا مقيم بينهم، بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق)[1]، ولا يقف الموضوع عند هذا الحد؛ بل إن إبراهيم يحذّر كبير خدمه من إرجاع ابنه إسحاق إلى أرض عشيرته! فهو يريد من خادمه أن يحضر لابنه زوجة من أرض عشيرته ويعود إلى أرض كنعان لا أن يأخذ ابنه إسحاق ذاته إلى أرض عشيرته، ولما سأله الخادم ماذا يفعل إن رفضت الفتاة أن تتبعه إلى أرض كنعان، أكد إبراهيم على عدم رجوع إسحاق إلى أور الكلدانيين لأن: (الرب إله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن مسقط رأسي، والذي كلمني وأقسم لي قال:

(1) تك،24: 1–4.

لنسلك أعطي هذه الأرض، وهو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك وإن أبت المرأة أن تتبعك فأنت بريء من يميني هذه أما ابني فلا ترجع به إلى هناك)[1]. نرى هنا احتقار الأمم التي يعيش إبراهيم في وسطها، مع عدم الرغبة في ترك أرض تلك الأمم لأن الإله وعده بهذه الأرض له ولنسله من بعده، فهو نعم يستفيد منهم ويعيش معهم، لكنه يحتقرهم وينتظر الوقت الذي يستولي فيه هو ونسله من بعده على هذه الأرض كما وعد الإله، ولا علاقة للأمر هنا بالتوحيد والدين والرسالة وما أشبه ذلك.

أما بالنسبة للنموذج الثاني من العنصرية تجاه الأمم الأخرى؛ فهو نموذج سارة وهاجر عليهما السلام، حيث تذكر التوراة أن سارة من عشيرة إبراهيم، وهاجر امرأة مصرية كانت جارية لسارة، ولما رأت سارة أنها لا تنجب؛ أهدت جاريتها هاجر لإبراهيم عليه السلام علها تجنب له طفلا، وبالفعل دخل إبراهيم بهاجر فحملت، وهنا بدأت القصة، إذ أنه لمّا حبلت هاجر غضبت سارة وقالت لإبراهيم: (غضبي عليك. دفعت جاريتي إلى حضنك، فلمّا رأت أنها حبلت صغرتُ في عينيها) فلما رأى إبراهيم غضب سارة قال لها بكل بساطة أن لها حرية التصرف بجاريتها (فأخذت ساراي تذلها حتى هربت من وجهها) وهنا وجدها ملاك الرب الذي أمرها بالرجوع إلى سيدتها سارة قائلا (ارجعي إلى سيدتك واخضعي لها)[2] .

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ إذ أنه بعد أن يُغيّر الإله اسم كل من أبرام وساراي إلى إبراهيم وسارة ويبشرهما بإسحاق وتلد سارة إسحاق فعلا؛ تزداد العنصرية لأن سارة لم ترد أن يختلط ابنها إسحاق ذو العرق النقي بأخيه إسماعيل ابن الجارية المصرية، ولذلك تأمر إبراهيم بطرد إسماعيل وأمه فيعترض إبراهيم في البداية لكن الإله يتدخل ويأمر إبراهيم بإطاعة زوجته سارة فيما تأمر! (اسمع لكل ما

(1) تك،24: 5-8.

(2) تك،16: 4-9

تقوله لك سارة، لأن بإسحق يكون لك نسل، وابن الجارية أيضا أجعله أمة لأنه من صلبك)[1] وهكذا طرد إبراهيم إسماعيل وأمه تنفيذا لرغبة زوجته سارة!

ثانيا: التفريق بين ابني إبراهيم إسماعيل وإسحاق.

إن الاختيار الإلهي لإبراهيم ولنسله من بعده لم يكن عاما في نسله كلهم؛ وإنما خُصِصَ في نسل ابنه إسحاق دونا عن إسماعيل، ذلك أن إسحاق هو ابن إبراهيم من زوجته سارة التي هي من قوم إبراهيم، بينما إسماعيل فهو ابنه من جاريته هاجر المصرية، وقد ذكرنا مسبقا كيف عرضت التوراة تعامل سارة مع هاجر الذي اتسم بالعنصرية، والتفريق بين ابني إبراهيم عليهم جميعا السلام إن دل على شيء فقد دل على أن غاية الإله في الخلق ليست غاية واحدة، إذ أنه لو كانت الغاية واحدة لما وُجِدت الحاجة لإعطاء العهد والوعد في نسل إسحاق دونا عن نسل إسماعيل، لكن من الواضح أن كُتّاب التنخ ركزوا على قضية النقاء العرقي أشد التركيز وبنوا عليه بقية المفاهيم العنصرية التي لا ترتبط بالتوحيد النقي ارتباطا وثيقا.

تبدأ قصة إسماعيل قبل تغيير اسم إبراهيم من "أبرام" إلى "إبراهيم" عندما حبلت هاجر به، والذي يهمنا هنا هو الخطاب الذي وجهه ملاك الرب لهاجر حيث قال لها: (أنت حبلى وستلدين ابنا فتسمينه إسماعيل، لأن الرب سمع صراخ عنائك ويكون رجلا كحمار الوحش، يده مرفوع على كل إنسان ويد كل إنسان مرفوعة عليه، ويعيش في مواجهة جميع إخوته)[2].

وعندما يبلغ إبراهيم التاسعة والتسعين من عمره يتراءى له الرب فيجدد عهده معه ويعده بتكثير النسل ويغير اسمه واسم زوجته إلى "إبراهيم وسارة"، ويبشره بأن سارة ستلد له إسحاق مع ما له من ميزات عن أخيه إسماعيل: (أنا أباركها وأعطيك منها ابنا وأباركها فيكون منها أمم وشعوب، ويخرج من نسلها

(1) تك،21: 9-13

(2) تك،16: 10 -12

ملوك.... فقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يحيا أمامك! فقال الله: بل سارة ستلد تلك ابنا وتسميه إسحق، وأقيم عهدي معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده)[1] بعد ذلك يوضح الإله لإبراهيم مكانة إسماعيل بالنسبة لإسحق، فإسماعيل سيُمنح البركة والكثرة، ولكن العهد سيُقام مع إسحق: (عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلد سارة في مثل هذا الوقت من السنة المقبلة)[2] ، وبعد ذلك يختن إبراهيم ابنه إسماعيل كما أمره الرب.[3]

وتستكمل التوراة قصة مولد إسحق وختانه وتذكر مظاهر الفرح التي أظهرها إبراهيم وسارة لقدوم إسحق وكيف أن سارة لم ترض أن يختلط إسحق بإسماعيل فأمرت إبراهيم أن يطرده وأمه لأن (ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق) وعندما يستاء إبراهيم من كلامها يقول له الرب: (لا يسوؤك هذا الكلام على الصبي وعلى جاريتك اسمع لكل ما تقوله سارة، لأن بإسحق يكون لك نسل وابن الجارية أيضا أجعله أمة لأنه من صلبك)[4]، نلحظ هنا أن الإله منذ بداية القصة رسخ فكرة التمييز بين الابنين وعاد هنا ليثبتها بإقرار تصرف سارة، وما يهم هنا أن طرد إبراهيم عليه السلام لإسماعيل وأمه لم يكن له علاقة بأي دور وجودي لإسماعيل في تحقيق إرادة الله على هذه الأرض، كل ما في الأمر هو الرغبة في إقصاء إسماعيل وأمه عن المشهد العرقي الديني الذي سيتسلسل بعد ذلك وصولا إلى موسى عليه السلام، وبعد أن يتم طرد هاجر وإسماعيل تذكر التوراة حياتهما في صحراء فاران وتزويج هاجر له من امرأة مصرية عندما يكبر[5].

وفي حين جرّدت التوراة إسماعيل عليه السلام من أي دور وجودي ديني أو

---

(1) تك،17: 15-19

(2) تك،17: 20-22

(3) يُنظر: تك،17: 23

(4) تك،21: 8-13

(5) يُنظر: تك،21: 14-21

حتى عرقي مشرّف؛ فقد أعطت كل ذلك لإسحاق عليه السلام، فإسحاق هو من سيضحي به إبراهيم،[1] وبسبب هذه التضحية سيجدد الإله بركته وعهده لإبراهيم ولابنه إسحاق ونسلهما، بل وستؤكد التوراة في أكثر من مقطع أن إسحاق هو ابن إبراهيم الوحيد! (قال: خذ إسحق ابنك وحيدك الذي تحبه واذهب إلى أرض موريه، وهناك أصعده محرقة على جبل أدلك عليه. ...)[2] وهكذا تستمر أحداث القصة حتى نصل إلى لحظة رفع إبراهيم السكين لذبح ابنه إسحق فيتدخل ملاك الرب ليفدي إسحاق بالكبش: (فناداه ملاك الرب من السماء وقال: إبراهيم إبراهيم! قال: نعم ها أنا. قال: لا تمد يدك إلى الصبي ولا تفعل به شيئا. الآن عرفت أنك تخاف الله، فما بخلت عليه بابنك وحيدك ....)[3] وبعد ذلك ينادي ملاك الرب إبراهيم ثانية قائلا: (بنفسي أقسمت "يقول الرب": بما أنك فعلت هذا وما بخلت بابنك وحيدك، فأباركك وأكثر نسلك كنجوم السماء والرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك مدن أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض لأنك سمعت لي)[4] ولنا هنا أن نسأل: كيف يكون إسحاق ابن إبراهيم الوحيد؟ فإن كان المقصود أنه ابن إبراهيم الوحيد مطلقا؛ فهذا خطأ واضح في رواية التوراة، وإن كان المقصود أنه ابنه الوحيد من سارة التي هي من عرق إبراهيم ذاته؛ فهذا تثبيت لعنصرية التوراة في تعاملها مع إسماعيل وإسحاق اللذين يحملان اسم إبراهيم وإن اختلف عرق الأمهات.

إن نقاء العرق من الأفكار الجوهرية التي تؤسس لها التوراة، ويظهر ذلك جليا في وصية إبراهيم المذكورة سابقا لابنه إسحاق في الزواج من عشيرته لا من خارجها، ذلك بخلاف إسماعيل الذي سبق وأن ذكرنا أن أمه هاجر زوجته من امرأة

---

(1) وذلك بخلاف القرآن الكريم الذي يذكر أن إسماعيل هو الذبيح، وقد ربط قصة التضحية هذه بالشعائر الإسلامية. انظر: الصافات: 102 وما بعدها.

(2) تك،22: 1-3

(3) تك،22: 9-13

(4) تك،22: 16-18

مصرية، وهكذا يقع الاختيار على رفقه ابنه بتوئيل ابن ملكة امرأة ناحور أخو إبراهيم كما تذكر التوراة.

ويستمر التفريق العرقي بين الابنين حتى أخر لحظات حياة إبراهيم، حيث يهب لإسحاق جميع ما يملك: (وأما بنو سراريه فأعطاهم عطايا وصرفهم ..)[1] فحتى الملك المادي يُوهب لإسحاق وحده، ويُصرف بقية إخوته بعيدا عنه حتى لا يُلوّث النسل.

المبحث الثاني: إبراهيم في الكتاب المقدس المسيحي.

بعد أن تناولنا في المبحث السابق شخصية إبراهيم في التنخ أو "العهد القديم"؛ ننتقل في هذا المبحث إلى تناول شخصيته في العهد الجديد.

يجدر بنا أن نذكر أن العهد الجديد الذي يؤمن به المسيحيون يتمركز حول المسيح (الكلمة أو اللوغس) الذي سيحقق الخلاص للبشرية، ولذلك سنلحظ أن شخصية إبراهيم استُخدمت هنا بما يخدم هذا التمركز، وبما يُوصل للمعتقدات المسيحية المرتبطة بالمسيح من التثليث والتعميد وقيامة الأموات وغيره، وهو ما سنعرض له في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إبراهيم من حيث الذات والغاية.

أولا: المهمة الأساسية لإبراهيم ولبقية الأنبياء هي التبشير بالمسيح المخلص عيسى.

إن النبي في العهد الجديد هو: الذي يختاره الإله ليكلمه وليوصل للناس ما يريده، فهو لا يتحدث من نفسه وإنما يوصل ما سمعه من الإله،[2] يبقى أن وظيفة النبي هنا مرتبطة بالمُخلص يسوع المسيح، فالأنبياء في العهد القديم منذ نزول آدم

(1) تك،25: 5-6

(2) See: Rev, Lyman Abbott. And others. **The Prophets of The Christian Faith**, (New York: The Macmillan Company, 1896) , P.g:3.

على هذه الأرض وحتى ظهور المسيح "كان محور نبواتهم عن مجيء المسيح، وعن التمهيد لمجيئه"[1] أي أن وظيفتهم الأساسية هي "البشارة" بكلمة الله المسيح عيسى عليه السلام الذي سيحقق الخلاص للبشرية، وهذا ما أكده العهد الجديد في كلامه عن إبراهيم وغيره من الأنبياء السابقين:

جاء في إنجيل لوقا نشيد زكريا بعد ميلاد ابنه يوحنا المعمدان الذي يُعد نبيا بشّر بقدوم المسيح (تبارك الرب إله إسرائيل لأنه تفقد شعبه وافتداه، فأقام لنا مخلصا قديرا في بيت عبده داود، كما وعد من قديم الزمان بلسان أنبيائه القديسين، خلاصا لنا من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا، ورحمة منه لآبائنا وذكرا لعهده المقدس وللقسم الذي أقسمه لإبراهيم أبينا، بأن يخلصنا من أعدائنا، حتى نعبده غير خائفين، في قداسة وتقوى عنده طوال أيام حياتنا)[2].

يبقى أن العهد الجديد لا يورد قولا لإبراهيم يُصرّح فيه بأنه جاء للبشارة بقدوم المُخلص يسوع المسيح، كل ما في الأمر هو أنه تم توظيف إبراهيم وبقية الأنبياء لخدمة اعتقاد العهد الجديد بالمسيح المخلص.

ثانيا: انتساب عيسى عليه السلام لإبراهيم عليه السلام رغم مولد الأول المعجز.

فرغم أن العهد الجديد يذكر معجزة ميلاد المسيح عليه السلام بدون أب؛ إلا أنه في الوقت ذاته يربطه بسلسلة نسب أنبياء بني إسرائيل وصولا إلى إبراهيم عليه السلام وحتى إلى آدم عليه السلام، وقد ذكر نسب المسيح في إنجيليّ متى ولوقا، ففي إنجيل متى جاء: (هذا نسب يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم ولد إسحاق وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخواته)[3] ويتسلسل حتى يصل إلى نهاية النسب فيقول: (ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولدت يسوع الذي يُدعى المسيح)![4]

---

(1) مجموعة من المؤلفين. *قاموس الكتاب المقدس*. هيئة التحرير: د. بطرس عبدالملك و د. جون ألكسندر طمسن والأستاذ إبراهيم مطر. (القاهرة: دار الثقافة، 1995) ، ص949.

(2) لو،1: 67-77. وينظر أيضا (يو،8: 56-58) ، (أع،3: 13-26) .

(3) مت،1: 1-2

(4) مت،1: 16

لكن الإنجيل ذاته يذكر بعد ذلك أن يوسف كان خطيب مريم فلما علم أنها حبلى من الروح القدس لم يرد أن يكشف أمرها وقَبِل أن يُنسب المولود له![1]

وجاء في إنجيل لوقا أنه عندما بشر الملاك مريم بحملها بالمسيح المُخلص؛ أنشدت قائلة: (تُعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي ... أعان عبده إسرائيل فتذكر رحمته، كما وعد آباءنا، لإبراهيم ونسله إلى الأبد)[2] والإنجيل ذاته يذكر نسب عيسى عليه السلام كاملا والذي يتضمن إبراهيم عليه السلام بنوع من التشكيك، ويختم سلسلة النسب بأن المسيح هو ابن الله (وكان الناس يحسبونه ابن يوسف بن عالي .... بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح ... بن شيت بن آدم، ابن الله)[3] . وعلى هذا المقطع تساؤلات؛ فرغم تشيكك لوقا بسلسلة النسب هذه بقوله "وكان الناس يحسبونه"؛ إلا أنه لا ينقض هذا الادعاء فيما بعد بل يبقيه كما هو دون تعليق عليه، إضافة إلى أنه كيف يُنسب إنسان لكل هذه السلسلة ثم بعد ذلك يُقال أنه ابن الله؟ فإما أن يكون ابنا لله دون الحاجة إلى أب وسلسلة نسب؛ وإما أن يكون بشرا مرتبطا بأب وسلسلة نسب، أما الجمع الاثنين ففيه تناقض.

يبقى أن ربط عيسى عليه السلام بسلسلة نسب بني إسرائيل بمن فيهم إبراهيم عليه السلام قد انبنى عليه الكثير من الاعتقادات والأحكام، أي أن هذا الربط ليس اعتباطيا، وإنما جاء كنوع من إضفاء المصداقية على المسيح وما ارتبط به من العقائد وسيأتينا هذا فيما يلي.

المطلب الثاني: استفادة بولس الرسول من شخصية إبراهيم عليه السلام

أولا: كسر فكرة الاختيار الإلهي العرقي لبني إسرائيل والتأكيد على عالمية المسيحية وربط كل ذلك بإبراهيم: من أهم الأفكار التي ركز عليها العهد الجديد في

(1) يُنظر: متى،1: 18-25.

(2) لو،1: 46-55

(3) لو،3: 23-38

رسائل بولس الرسول خصوصا هي فكرة كسر فكرة الاختيار الإلهي العرقي لبني إسرائيل، والتأكيد بأن إبراهيم برره الله بسبب إيمانه ومن ثم فمن يؤمن بيسوع المسيح كما آمن إبراهيم بالله؛ فقد شمله الخلاص، ويستحق أن يكون ابنا لإبراهيم لاشتراك الاثنين بالإيمان، وقبل أن نورد بعض القفرات التي تدل على ذلك؛ لابد أن نوضّح الفرق بين تعامل الأناجيل الأربعة مع فكرة عالمية المسيحة وبين تعامل ما سواها مع الفكرة ذاتها.

إن الأناجيل الأربعة لم تؤصل فكرة العالمية؛ بل على العكس، جاء في إنجيل متى أن المسيح عليه السلام قال: (ما أرسلني الله إلا للخراف الضالة من بني إسرائيل)[1] وإنما جاءت الأناجيل الأربعة لتؤكد مركزية الإيمان وأن مجرد الانتساب إلى إبراهيم لا يكفي لتحقيق الخلاص، جاء في إنجيل متى على سبيل المثال قول يوحنا للفريسيين والصدوقيين الذين جاؤوا إليه ليعتمدوا: ("يا أولاد الأفاعي، من علمكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ اثمروا ثمرا يبرهن على توبتكم، ولا تقولوا لأنفسكم: إن أبانا هو إبراهيم. أقول لكم: إن الله قادر أن يجعل من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم)[2] نرى هنا أن مجرد الانتساب إلى إبراهيم لا يكفي لتحقيق الخلاص، بخلاف العهد القديم الذي يجعل النسب وحده كفيلا بنوال العهد الإلهي وتحقيق الخلاص.

أما بالنسبة لبقية أسفار العهد الجديد؛ فسنلحظ أن من أصّل لفكرة عالمية المسيحية ليس المسيح نفسه؛ وإنما بولس الرسول، جاء في أعمال الرسل: (فقال بولس وبرنابا بجرأة: كان يجب أن نبشركم أنتم أولا بكلمة الله، ولكنكم رفضتموها، فحكمتم أنكم لا تستأهلون الحياة الأبدية، ولذلك نتوجه الآن إلى غير اليهود)[3]، وجاء أيضا أنه لما وصل بولس وبرنابا إلى أنطاكية جمعا الكنسية وأخبرا كيف أن الله (فتح

(1) مت،15: 24
(2) مت،3: 7-9
(3) أع،13: 46

باب الإيمان لغير اليهود)[1] نلحظ إذا أن بولس قد كسر فكرة الاختيار الإلهي العرقي لبني إسرائيل وجاء ليفتح باب الإيمان لغير اليهود ويبشر بعالمية المسيحية رابطا كل ذلك بإبراهيم عليه السلام، وفيما يلي أمثلة على ذلك.

جاء في رسالة بولس لرومة تأكيده على أن إيمان إبراهيم هو الذي بررره ولذلك (صار إبراهيم أبا لجميع الذين يبررهم الله لإيمانهم من غير المختونين، وأبا للمختونين الذين لا يكتفون بالختان، بل يقتدون بأبينا إبراهيم في إيمانه قبل أن ينال الختان)[2].

نلاحظ هنا أن إبراهيم عليه السلام قد استُخدم للتأسيس لتوجه المسيحية نحو العالمية، فأصبح إيمان إبراهيم بالإله هو المركز، ومن ثم فكل من يؤمن بالمسيح يُعد من أبناء إبراهيم حتى وإن لم يكن من نسله على الحقيقة، فرابطة الإيمان أصبحت الآن هي الأقوى، ونلحظ أن بولس الرسول لم يكتف بتأصيل فكرة عالمية الإيمان باستخدام إبراهيم؛ وإنما تجاوز ذلك إلى هدم شريعة الموسى التي كانت عند اليهود وهو ما سنتناوله في النقطة التالية.

ثانيا: هدم بولس لشريعة موسى والتركيز على الإيمان والتأصيل لذلك باستخدام إبراهيم عليه السلام: لم يكتف بولس بكسر فكرة الاختيار الإلهي العرقي لبني إسرائيل؛ وإنما ربط ذلك بفكرة خطيرة هي من أخطر الأفكار التي أصلها بولس في العهد الجديد، وهي فكرة هدم شريعة موسى رغم أن عيسى عليه السلام قال: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئت لأبطل بل لأكمل)[3] ولكن بولس يُخالف عيسى نفسه ويقول أن شريعة موسى لا فائدة لها الآن وأن المهم هو الإيمان كما آمن إبراهيم عليه السلام، وبسبب هذه التغييرات الجوهرية التي أجراها

---

(1) أع،14: 27

(2) رو،4: 11-12. وينظر أيضا: (رو،4: 16-17) ، (غل،3 6-9) ، (غل،3: 14) .

(3) مت،5: 17

بولس على المسيحية والتي تم تثبيتها في العهد الجديد؛ أصبحت المسيحية كما هي موجودة اليوم توصف بأنها مسيحية بولس وليس مسيحية المسيح عليه السلام.

يقول بولس في رسالته إلى رومة أن الوعد الذي وعده الله لإبراهيم ونسله لا يعود للشريعة بل إلى إيمانه لأن الميراث إن اقتصر على أهل الشريعة (لكان الإيمان عبثا والوعد باطلا، لأن الشريعة تُسبب غضب الله، وحيث لا تكون الشريعة لا تكون معصية. فالميراث قائم على الإيمان حتى يكون هبة من الله ويبقى الوعد جاريا على نسل إبراهيم كله، لا على أهل الشريعة وحدهم بل على المؤمنين إيمان إبراهيم أيضا وهو أب لنا جميعا، كما يقول الكتاب: (جعلتك أبا لأمم كثيرة) وهو أب لنا عند الذي آمن به إبراهيم...)[1]

ويهدم في الرسالة إلى رومة أهمية الختان الذي جعله الإله في العهد القديم علامة على عهده الذي أعطاه الله لإبراهيم ولنسله من بعده[2] لكن بولس الرسول يُصر على كسر أهمية الختان إذ ينبغي أن يستوي المختون وغير المختون لأن نوال العهد يكون بتقليد إبراهيم في إيمانه، يقول بولس: (نحن نقول: إن الله برر إبراهيم لإيمانه. ولكن متى تم ذلك؟ أقبل الختان أم بعده؟ قبل الختان لا بعده. ثم نال الختان علامة وبرهانا على أن الله بررره لإيمانه قبل ختانه، فصار إبراهيم أبا لجميع الذين يبررهم الله لإيمانهم من غير المختونين، وأبا للمختونين الذين لا يكتفون بالختان، بل يقتدون بأبينا إبراهيم في إيمانه قبل أن ينال الختان) ومن ثم فالوعد الذي وعده الله لإبراهيم ولنسله من بعده (لا يعود إلى الشريعة، بل إلى إيمانه الذي بررره)! [3]

وجاء في الرسالة إلى غلاطية قول بولس: (خذوا أيها الإخوة مثلا بشريا: لا يقدر أحد أن يبطل عهد إنسان أو يزيد عليه إذا كان ثابتا، فكيف بوعد الله لإبراهيم ولنسله؟ هو لا يقول: لأنساله. بصيغة الجمع، بل "لنسله" بصيغة المفرد، أي المسيح، وما أريد أن أقوله هو أن الشريعة التي جاءت بعد مرور أربعمئة وثلاثين سنة لا

(1) رو،4: 13-17
(2) تك،17: 10-11
(3) رو،4: 1-13

تقدر أن تنقض عهدا أثبته الله فتجعل الوعد باطلا، فإذا كان ميراث الله يستند إلى الشريعة، فهو لا يكون وعدا، ولكن الله أنعم بالميراث على إبراهيم بوعد، فلماذا الشريعة إذا؟ إنها أضيفت من أجل المعاصي إلى أن يجيء النسل الذي جعل الله له الوعد)[1] ، نلاحظ هنا أن الوعد بالنسبة لبولس شيء والشريعة شيء آخر، فالوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم ونسله لازال قائما ولكنه أصبح وعدا مفتوحا لكل من يؤمن، لكن شريعة موسى عليه السلام لابد من التخلص منها لأنها فقدت وظيفتها، فشريعة موسى كما يقول بولس جاءت لتحرس الناس إلى حين قدوم المسيح المخلص، ولذلك عندما جاء المسيح لم يعد هنالك حاجة للشريعة الحارسة، فكما يقول بولس: (أنتم كلكم أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنكم تعمدتم جميعا في المسيح فلبستم المسيح. ولا فرق الآن بين يهودي وغير يهودي، بين عبد وحر، بين رجل وامرأة، فأنتم كلكم واحد في المسيح يسوع، فإذا كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم ولكم الميراث حسب الوعد)[2].

يقول بولس في الرسالة إلى العبرانيين بعد أن وصف المسيح بأنه (صار رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكيصادق)[3]: (وكان ملكيصادق هذا ملك ساليم وكان كاهن الله العلي، فخرج لملاقاة إبراهيم عند رجوعه بعدما هزم الملوك وباركه، وأعطاه إبراهيم العشر من كل شيء. وتفسير اسمه أولا ملك العدل، ثم ملك ساليم، أي ملك السلام، وهو لا أب له ولا أم ولا نسب، ولا لأيامه بداءة ولا لحياته نهاية. ولكنه كان على مثال ابن الله، يبقى كاهنا للأبد. فانظروا ما أعظمه! إبراهيم نفسه وهو رئيس الآباء، أعطاه العشر من خيرة الغنائم، والكهنة الذين من بني لاوي تأمرهم الشريعة بأن يأخذوا العشر من الشعب...)[4] نلاحظ هنا خطورة المقدمات

(1) غل،3: 15-18
(2) غل،3: 23-29
(3) عب،6: 20
(4) عب،7: 1-5

التي يضعها والنتائج التي يصل إليها، فحتى يهدم شريعة موسى، قال أن ملكيصادق كان كاهن الله العلي وهو على مثال المسيح لا أم له ولا أب، وقد أعطاه إبراهيم العشر من كل شيء، ثم يقارنه باللاويين الذين تأمرهم شريعة موسى بأخذ العشر من بني إسرائيل، فلو كانت الشريعة ثابتة إلى الأبد؛ لما أرسل الله المسيح وجعله رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكيصادق، وبهذا يصل إلى نتيجة مفادها أن الكمال لو كان قد تحقق بالكهنوت اللاوي وهو أساس شريعة الشعب اليهودي؛ فما الحاجة إلى ظهور كاهن آخر على رتبة ملكيصادق وهو المسيح؟[1] يقول أخيرا مجيبا: (.. لأن شريعة موسى ما حققت الكمال في شيء فحل محلها رجاء أفضل منها نتقرب به إلى الله)[2].

ثالثا: ربط إبراهيم بأهم العقائد المسيحية: ومن ذلك أن إبراهيم والأنبياء الآخرين بشروا بقدوم ابن الله الذي سيضحي بنفسه فداء للبشرية، يقول يوحنا: (إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا هو الذي مجد فتاه يسوع الذي أسلمتموه إلى أعدائه وأنكرتموه أمام بيلاطس..)[3]، ويكمل بعد ذلك: (فأتم الله ما أوحى إلى جميع أنبيائه وهو أن مسيحه سيتألم)[4] .

أن المسيح رد على اليهود الصدوقيين الذي ينكرون قيامة الأموات: (وأما قيامة الأموات، أفما قرأتم ما قال الله لكم: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب؟ وما كان الله إله أموات بل إله أحياء)[5] نلاحظ هنا استخدام مقاطع من العهد القديم وتوجيهها بما يخدم الاعتقاد المسيحي، وربما يكون ربط إبراهيم بعقيدة القيامة تمهيدا لإثبات قيامة المسيح بعد موته، وأن إبراهيم لا يُنكر قيامة الأموات من حيث الأصل، ومن ثم فلن يُنكر قيامة المسيح بالتبعية.

---

(1) عب،7: 11

(2) عب،7: 15-19

(3) أع،3: 13

(4) أع،3: 18

(5) مت،22: 31-32

أن تحقيق الخلاص والدخول في ملكوت السماوات لا يصح إلا بالإيمان بيسوع المسيح وفي ملكوت السماوات يوجد إبراهيم وغيره من الأنبياء (ويكون البكاء وصريف الأسنان حين ترون إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأنبياء كلهم في ملكوت الله وأنت في الخارج مطرودون!)[1]

تثبيت عقيدة الحياة الأبدية وقيامة الأموات والرهبنة: (أما الذين هم أهل للحياة الأبدية والقيامة من بين الأموات، فلا يتزاوجون. هم مثل الملائكة لا يموتون، هم أبناء الله، لأنهم أبناء القيامة. وموسى نفسه أشار في كلامه على العليقة إلى أن الأموات يقومون، لما دعا الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، وما كان إله أموات بل إله أحياء، فهم جميعا عنده يحيون)[2]

وفي ختام هذا المبحث نلحظ كيف طوّع العهد الجديد شخصية إبراهيم عليه السلام لتنسجم مع روايته لحقيقة الوجود وإجابته عن أسئلة المعنى الكبرى: من أوجدني ولماذا أوجدني وما هي النتيجة، وفي المبحث القادم نتناول بحول الله وقوته شخصية إبراهيم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: إبراهيم في القرآن الكريم.

نتناول في هذا المبحث شخصية إبراهيم في القرآن الكريم من خلال تسليط الضوء على أبرز المواضيع التي ارتبطت به، مع مراعاة نظرة القرآن الكريم للوجود والغاية منه، وتجدر الإشارة هنا إلى أن إحدى سور القرآن سُميت بسورة إبراهيم وهذا إن دل على شيء دل على أهمية شخصية إبراهيم ودوره بالنسبة للدعوة الإسلامية وهو ما سنلحظه في المطالب الآتية.

(1) لو،13: 28

(2) لو،20: 35-38

المطلب الأول: إبراهيم من حيث الذات والغاية.

أولا: دعوة إبراهيم وبقية الأنبياء واحدة.

إن النبي في الإسلام هو الذي تلقى وحيا من الله سبحانه وتعالى سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر بتبليغه[1]وبما أن مصدر التلقي واحد وهو الله سبحانه وتعالى؛ فلا ريب أن تأتي كل دعوات الأنبياء منسجمة ومتكاملة مع بعضها البعض، فالأنبياء جميعهم بعثوا لدعوة أقوامهم للتوحيد وعبادة الله تعالى ونبذ الشرك، وقد أكد القرآن عدم التفريق بين أنبياء الله ورسله حيث قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البَقَرَة : ٢٨٥] ، ومن ثم سنجد بأن القرآن يذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بربطه مع سلسلة الأنبياء السابقين واللاحقين ويؤكد على أن العنصر الذي يجمع كل هؤلاء هو النبوة والتوحيد والدعوة إلى التوحيد لا مجرد النسب العرقي[2].

ثانيا: إبراهيم وكل الأنبياء قدوات للمسلمين.

وهذه النقطة مرتبطة بسابقتها وهي أنه لما توحدت دعوات الأنبياء، أصبحوا جميعهم مجالا للاقتداء وفي مقدمتهم إبراهيم عليه السلام، ذلك أن القرآن الكريم يؤكد على فكرة الهدى والتوحيد والإيمان؛ وأن الأنبياء عليهم السلام جميعا جاؤوا بالهدى وبالتوحيد والإيمان ومن ثم فلابد أن يُتخذوا نماذج للاقتداء، وهذا بالنسبة لإبراهيم ولغيره من الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ..... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأَنْعَام : ٨٣ - ٩٠]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ

(1) يُنظر: محمد عياش الكبيسي. *المحكم في العقيدة*. (مطبعة أنوار دجلة، 2012) ، ص89.

(2) ينظر على سبيل المثال: «النساء 163 – النساء 165»، «آل عمران 83 – آل عمران 84»، «الأنعام83 – الأنعام 89»، «مريم58»، «الأحزاب7»

وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ [المُمْتَحنَة : ٤]

ثالثا: اشتراك إبراهيم وبقية الأنبياء في فلسفة الحياة.

انطلاقا من النقطتين السابقتين؛ نلحظ أن فلسفة الحياة عند الأنبياء مشتركة بمن فيهم إبراهيم عليه السلام، فطالما اشترك الأنبياء في المصدر والغاية، واشتركوا من ثم في كونهم قدوات؛ فإن فلسفة الحياة والمعنى من الوجود مشترك بينهم أيضا، فجميع الأنبياء بعثوا ليؤكدوا أن خالق هذا الكون واحد، وأنه بعثهم للناس ليُعلموهم أوامر ربهم وما يريد منهم، وأن الحياة الدنيا ليست النهاية بل هناك يوم آخر سيحاسب الناس فيه على أعمالهم فإما يخلدون في الجنة أو النار، فلابد من إدراك الإنسان لمسؤوليته الفردية في اختيار الإيمان أو رفضه، وقد تلقى الأنبياء في سبيل إيصال دعواتهم الكثير من الأذى بمن فيهم إبراهيم عليه السلام بكل تأكيد، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشُّورَى : ١٣] قال أيضا: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٦١ - ١٦٣]

وتوجد الكثير من الأمثلة الأخرى على ذلك منها ما جاء في ذكر تكذيب الأقوام لرسلهم وذكر عاقبة المكذبين كنوع من التثبيت لفؤاد النبي ﷺ،[1] وجاء أيضا أن الإيمان بالله واليوم الآخر ومفاهيم الحساب والجزاء هي من دعوة إبراهيم عليه

(1) ينظر: «التوبة 70»، «الحج 42 – الحج 44»، «العنكبوت 24».

السلام[1]، وجاء تأكيد الأنبياء جميعا على مسؤولية الإنسان الفردية وأنه سيحاسب بناء على أعماله[2].

رابعا: ربط إبراهيم بالتوحيد ورد تهم الشرك عنه.

إن أبرز سياق يُذكر فيه اسم إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو سياق تأكيد توحيده عليه السلام وأنه كان حنيفا مسلما ووصى أبناءه وذريته من بعده أن يكونوا كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البَقَرَة : ١٣٠ - ١٣٢]

وإلى جانب تأكيد القرآن توحيد إبراهيم عليه السلام؛ دافع عنه مما ألصق به من ادعاءات كونه يهوديا أو مسيحيا، خصوصا أن اليهودية والمسيحية جاءتا بعد إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البَقَرَة : ١٤٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٦٥ - ٦٨].

(1) ينظر: «يوسف 37 – يوسف 38»، «النحل 120 – النحل 123»، «مريم 58 – مريم 61»، «الأعلى 16 – الأعلى 19».

(2) ينظر: «النجم: 36 – النجم 42».

خامسا: ربط إبراهيم عليه السلام بهوية الأمة المسلمة.

وهذا ما أكدته أولى الآيات التي ذُكِر فيها إبراهيم في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿* وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البَقَرَة : ١٢٤ - ١٢٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البَقَرَة : ١٣٢]

ونلحظ من هذه الآيات وغيرها أن إبراهيم "هو الرمز البشري الأول، كما أن محمد ﷺ هو الرمز الخاتم، والذي هو دعوة إبراهيم أيضا: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البَقَرَة : ١٢٩] وكأن الأنبياء الذين جاؤوا قبل إبراهيم ما جاؤوا إلا ممهدين لإبراهيم، والأنبياء الذين جاؤوا بعده كانوا مؤكدين لدعوته ومبشرين بحفيده الخاتم ﷺ"[1].

فرغم أن "الرسالات السماوية الكبرى (القرآن والتوراة والإنجيل) تتصل بدعوة إبراهيم اتصالا وثيقا"[2] إلا أن "الإسلام أضاف بعدا آخر وهو بعد الهوية، فجعل من مقام إبراهيم مصلى، وجعل البيت الذي رفع قواعده بيده قبلة، فالأمة كلها تتذكر إبراهيم في صلاتها وفي مناسك حجها، وتذكره حين تصلي على نبيها فتقول: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) وهذه هي الصلوات التامة"[3].

---

(1) محمد عياش الكبيسي. *مجالس النور*. ط1 . (الدوحة: دار نشر جامعة قطر، 2019 ، ج1) ، ج1، ص94.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص94.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص94.

سادسا: أدب إبراهيم مع ربه.

وهذا سمت جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد تجلى أدب إبراهيم عليه السلام مع ربه في كل محطة من محطات حياته، لكننا هنا نذكر مثالين على أدبه عليه الصلاة والسلام، أحدهما أدبه في سؤاله رؤية كيفية إحياء الله للموتى، والآخر أدبه في مجادلته عن قوم لوط.

ذكرت سورة البقرة قصتين الأولى لرجل مر على قرية خاوية على عروشها فقال مستنكرا: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ... ٢٥٩﴾ [البَقَرَة : ٢٥٩] فكان رد الله تعالى له: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ [البَقَرَة : ٢٥٩] وبعد هذه القصة مباشرة يذكر تعالى القصة الثانية وهي طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ [البَقَرَة : ٢٦٠] نلاحظ هنا أن القرآن الكريم ذكر القصتين تباعا ليلفت انتباهنا إلى أنه حتى وإن اشترك الاثنان بالموضوع ذاته، إلا أن صيغة عرضه أو طلبه تختلف، وكأن هذا توجيه للمسلمين أن يلتزموا غاية الأدب في علاقتهم مع الله سبحانه وتعالى كما فعل إبراهيم عليه السلام.

أما بالنسبة لمجادلة إبراهيم في قوم لوط، فقد ذكرت في أكثر من موضع نذكر أبرزها فيما نعتقد وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هُود : ٧٤ - ٧٦] فلم تكن مجادلة إبراهيم هنا اعتراضا على أمر ربه تعالى، بدليل أن الله تعالى امتدحه في المقطع ذاته قائلا: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ وإنما كان إبراهيم يخشى

أن يُعذبَ المؤمنون مع الكافرين، لكن الله تعالى أعلمه بأنهم أتيهم أمر الله لأنهم لم يؤمن منهم إلا لوط وبعض أهله وهؤلاء سينجيهم الله، جاء في سورة الذاريات قول الملائكة: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذَّارِيَات : ٣٥ - ٣٦] وقالت الملائكة أيضا في سورة الحجر: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحِجر : ٥٨ - ٦٠] .

المطلب الثاني: علاقة إبراهيم بالآخرين.

أولا: مفاصلة إبراهيم لقومه من منطلق الإيمان ومحاجته لهم:

لما أكد القرآن الكريم بشكل قاطع على توحيد إبراهيم ورد عنه تهم الشرك والانحراف؛ عرض نماذج لمفاصلة إبراهيم العقدية لقومه ومحاجته لهم، فالولاء والبراء بالنسبة لإبراهيم –عليه السلام– قائم على أساس الدين وليس على أساس النسب أيا كان، وفيما يلي نرى هذه المفاصلة العقدية في مواقف مختلفة، منها ما هو مع والده، ومنها ما مع قومه ومنها ما مع الملك.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأَنْعَام : ٧٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨١﴾ [الأَنْعَام : ٨١] نلاحظ هنا محاجة إبراهيم لوالده وقومه، فقد كانت العبادات المنتشرة في العراق في ذلك الوقت عبادة الكواكب والأصنام، ولذلك قدم لهم إبراهيم نموذجا عمليا للتفكر في الخلق المضاد للتبعية العمياء للآباء، وإلا فإن إبراهيم كان يرى حركة الليل والنهار وأفول الشمس والقمر يوميا، ولما لم يقتنع قومه؛ أعلن مفاصلته الإيمانية لهم.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢﴾ [مَرْيَم : ٤١ - ٤٢] إلى

قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مَرۡيَم : ٤٨] نرى هنا أنه إلى جانب أدب إبراهيم –عليه السلام– مع والده وحرصه على إيمانه؛ إلا أنه فاصله دينيا وأبقى خيطا واحدا وهو الاستغفار، ولكن الله تعالى نهى عن الاستغفار للمشركين بعد ذلك حتى وإن كانوا ذوي رحم طالما استحبوا الكفر على الإيمان، وقد وضح القرآن أن استغفار إبراهيم لأبيه كان عن موعدة وعده الله بها، قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾ [التَّوۡبَة : ١١٣ - ١١٤] وبهذا أصبحت المفاصلة العقدية تامة، يبقى هل معنى استغفار إبراهيم لأبيه أنه يريد من الله أن يغفر له مع بقائه على الشرك، أم الاستغفار هنا بمعنى طلب الهداية من الله له؟ وهل كان ذلك في حياة والده أم بعد مماته؟ إن المقصود بالاستغفار هنا بكل تأكيد هو طلب الهداية من الله لوالده، وتذكر التفاسير أن هذا الدعاء بالهداية استمر إلى حين وفاة والده، فلما توفي على الشرك نهاه الله عن الاستغفار له وتبرأ إبراهيم من والده[1].

وتذكر سورة الأنبياء زاوية أخرى من قصة محاجة إبراهيم لقومه فيما يخص عبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ [الأَنبِيَاء : ٥١ - ٥٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [الأَنبِيَاء : ٧٠] فهنا لم يكتف قومه بالمجادلة، وإنما اتخذوا سلوكا عمليا فألقوا إبراهيم في النار، فتدخلت العناية الإلهية لإنقاذه –عليه السلام– ورغم أن قومه رأوا أنه لم يحترق بالنار؛ إلا أن ذلك لم يحرك شيئا داخل نفوسهم.

(1) يُنظر: الحسين بن مسعود البغوي. *تفسير البغوي*. تح: محمد عبدالله النمر وآخرين. (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1411هـ - 1991م) ، ج4، ص101-102.

وجاء في سورة البقرة محاجة إبراهيم للملك الذي تذكر التفاسير أنه النمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البَقَرَة : ٢٥٨]

ثانيا: تكامل رسالات إسحاق وإسماعيل وعدم التفريق بين الأخوين.

لقد ذكرنا مسبقا أن الأنبياء جميعهم يشتركون في مصدر التلقي والغاية، ولذلك لا نجد تفريقا بين ابني إبراهيم إسحاق ويعقوب، ولا تفضيلا لأحدهما على الآخر، فبالنسبة للقرآن؛ لكل واحد منهما دوره الذي يحقق دعوة الإسلام وإن اختلفت البقعة الجغرافية التي يتحركون فيها، ولذلك نرى القرآن الكريم يعرض قصة إسحاق وإسماعيل فيما يخص جانب التوحيد والدعوة إلى الله، جاء في سورة آل عمران تساوي الإيمان بجميع الأنبياء بمن فيهم إسماعيل وإسحاق: قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٨٤][1]

ثالثا: العهد لإبراهيم ولبني إسرائيل عهد توحيد لا عهد نسب.

فالعهد الذي أعطي لإبراهيم وتسلسل في سلسلة نسب نبي إسرائيل إنما هو عهد مرتبط بالتوحيد وليس عهدا بناء على النسب العرقي، ولذلك من يكفر أو يظلم لا ينال العهد وفق النص القرآني، ومن ثم فلا وجود لمعاني العنصرية والقومية.

قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البَقَرَة : ١٢٤] واختلف المفسرون في معنى "العهد" المحرم نيله على الكافرين، فمنهم من قال هو النبوة،

(1) ينظر أيضا: «الأنعام 84 – الأنعام 86»، «هود 69 – هود 73»، «إبراهيم 37 – إبراهيم 40»، «الأنبياء 72 – الأنبياء 73»، «الصافات 100 – الصافات 113».

ومنهم من قال هو العهد بالإمامة وقيادة الناس، ومنهم من قال العهد المقصود بهذه الآية هو دين الله، فلا ينل دين الله الظالمون[1]، وعلى كل حال نرى هنا أن العهد سواء أكان بمعنى نيل النبوة أو نيل الإمامة أو نيل قيادة الناس أو نيل دين الله؛ فهو غير مرتبط بالنسب، ومن ثم فمن يظلم من نسل إبراهيم لا ينال العهد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأَحْزَاب : ٧ - ٨] والميثاق هنا هو العهد بالإيمان وتوصيل هذا الإيمان للناس[2] وليس لمجرد العرق أو النسب، وجاء في سورة الحديد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحَدِيد : ٢٦] نلاحظ هنا أن معيار تقييم ذرية نوح وإبراهيم هو الإيمان والاهتداء وليس العرق والنسب.

الخاتمة وأهم الاستنتاجات.

وفي ختام هذا البحث الذي تناول شخصية إبراهيم عليه السلام في الكتب الثلاثة؛ يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

1. شخصية إبراهيم –عليه السلام– في الكتب الثلاثة مختلفة عن بعضها البعض من حيث الاعتقاد والتشريعات والقيم، ومن ثم لا يمكن اتخاذه –عليه السلام– عنصرا مشتركا جامعا بين أتباع الأديان الثلاثة، فضلا عن جعله الأساس الذي تُبنى عليه الإبراهيمية المُحدثة، وينبغي تبرأت إبراهيم عليه السلام من الارتباط بمثل هذه الدعاوي المُسيّسة.

(1) يُنظر: محمد بن جرير الطبري. *تفسير الطبري*، تح: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. ط1 . (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001) ، ج2، ص511– 515.

(2) يُنظر: المصدر نفسه، ج19، ص22–24.

2. ارتبط إبراهيم في التنخ بسياق الدعوة إلى المفاهيم العرقية والعنصرية واحتقار الأمم الأخرى والاستيلاء على أراضيها ومقدراتها، بينما ارتبط في الكتاب المقدس المسيحي بسياق البشارة بالمسيح عليه السلام، حيث يُؤكد العهد الجديد أن كل الأنبياء السابقين على عيسى عليه السلام إنما بُعثوا للبشارة بقدوم المخلص، وتجدر الإشارة أنه لا يوجد قول صريح لإبراهيم تذكره الأناجيل يبشر فيه بقدوم المسيح، وأخيرا ارتبط إبراهيم في القرآن الكريم بالدعوة إلى التوحيد ونبذ العبادات الشركيّة والتبرؤ منها وبالأدب والتواضع في تعامله مع ربه سبحانه وتعالى.
3. يعيد العهد الجديد تفسير قصة إبراهيم عليه السلام الواردة في العهد القديم وفقا للاعتقادات المسيحية، ورغم تأكيد العهد الجديد وخاصة الأناجيل على مولد عيسى المعجز، حيث وُلد بدون أب؛ إلا أن اثنين من الأناجيل يربطانه بسلسلة نسب بني إسرائيل وصولا إلى إبراهيم عليه السلام وهذا تناقض.
4. اهتم التنخ بأبوة إبراهيم عليه السلام أكثر من نبوته، أي أنه ركز على إبراهيم من حيث العرق والنسب أكثر من تركيزه عليه باعتباره نبيا ذو دعوة إلهية، حيث لم يُوصف بالنبوة إلا في فقرة واحدة في كل أسفار التنخ، وفي الكتاب المقدس المسيحي أيضا يتم الحديث عن إبراهيم عليه السلام بصفته الأبوية أكثر من صفته النبوية، بينما في القرآن الكريم فيتم التأكيد على نبوة إبراهيم عليه السلام وما ارتبط بتلك النبوة من الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وتم التأكيد أيضا على أن النسب وحده لا يكفي للنجاة والنجاح في اختبار الحياة الدنيا.
5. هجرة إبراهيم عليه السلام في التنخ لم تكن لدافع ديني، فلم يوجد نزاع ديني بينه وبين والده دفعه للهجرة وترك وطنه، بل على العكس والد إبراهيم هو من أخذه ونوح ليهاجروا قاصدين أرض كنعان، وعندما يتوفى والده في حاران يبدأ الوحي الإلهي لإبراهيم ويكون أول ما يوحى إليه هو التوجه إلى الأرض التي يريه الإله ليعجلها ملكه له ولنسله من بعده، بينما يذكر القرآن الكريم وجود نزاع

ديني بين إبراهيم ووالده دفع الأول إلى الهجرة وترك وطنه ليدعو إلى التوحيد الخالص، بمعنى أنها كانت هجرة بدافع ديني وليس بغية تحقيق المكتسبات الدنيوية كما في التنخ.

6. ركز التنخ على المفاهيم القومية والعنصرية في روايته لقصة إبراهيم عليه السلام، فالعهد الإلهي والوعد بالأرض مرتبطان بالنسب لا بالتوحيد، بينما في العهد الجديد وتحديد في رسائل بولس الرسول تم التركيز على كسر مفاهيم العهد والوعد القومي الخاصة بالجماعة اليهودية بحيث يشمل الخلاص كل الناس يهودا وغير يهود، ومن ثم تحولت المسيحية من دعوة إصلاحية في نطاق اليهودية إلى دعوة عالمية وقد أصل بولس لتلك العالمية باستخدام إبراهيم عليه السلام الذي برره الله بإيمانه فأصبح أبا لجميع المؤمنين، أما القرآن الكريم فقد أكد على عالمية الدعوة الإسلامية وتناول شخصية إبراهيم في سياقها الديني التوحيدي ونبذ فكرة الخلاص والنجاة القائمتين على أساس العرق دون التوحيد، بل وربط إبراهيم عليه السلام بهوية الأمة المسلمة.

7. يُقصي التنخ إسماعيل عليه السلام عن أي دور ديني وجودي، ويُثبت لأخيه إسحاق كل الأدوار الدينية والعرقية، فالذبيح في التنخ هو إسحاق عليه السلام وليس إسماعيل، وقد ارتبطت قصة تضحية إبراهيم بابنه إسحاق في التاناخ بتأكيد العهد والوعد الإلهي بالأرض، بينما الذبيح في القرآن الكريم هو إسماعيل عليه السلام وقد ارتبطت قصة تضحية إبراهيم بابنه بشعائر وقيم دينية إسلامية لازالت مستمرة حتى يوم الناس هذا، ولم يغفل القرآن كذلك عن دور إسحاق عليه السلام وذريته في الدعوة إلى الله، بمعنى أن إبراهيم في القرآن الكريم ساوى في معاملته بين ابنيه واثبت القرآن لكل منهما دوره في الدعوة إلى التوحيد باختلاف المساحة الجغرافية التي تحركا فيها.

المصادر والمراجع

❖ **بعد القرآن الكريم.**

1. "الإبراهيمية الجديدة خديعة أمريكية صهيونية"، مركز الاتحاد للأبحاث والتطوير، على الرابط: https://2u.pw/0d8Fykzp.
2. "البابا يشارك في صلاة بين الأديان ضد كورونا مغضبا الكاثوليك المتشددين"، Reuters، على الرابط: ./https://www.reuters.com/article/idUSKBN22Q33E
3. "بيت العائلة الإبراهيمية"، موقع اللجنة العليا للأخوة الإنسانية، على الرابط: https://2u.pw/wkloZZBW.
4. البغوي، الحسين بن مسعود. تفسير البغوي. تح: محمد عبدالله النمر وآخرين. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1411هـ - 1991م. ج4.
5. بنلمهدي، يوسف. "الإبراهيمية في سياق البحث العقدي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية"، *مجلة الاستناد*، ع10، ص1-37.
6. حسن، محمد خليفة. تاريخ الديانة اليهودية. القاهرة: دار قباء، 1998.
7. حسن، محمد خليفة. علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1988.
8. حسن، محمد علي. (2021). "تفاصيل الصلاة الإبراهيمية التي سيؤديها بابا الفاتيكان مع المسلمين واليهود"، الوطن، على الرابط: https://www.elwatannews.com/news/details/5355752.
9. دحمان، عبد الحق. الإبراهيمية بين السياقات الدينية والاستخدامات السياسية. إسطنبول: مركز المجدد للبحوث والدراسات، 2022.
10. الصغير، عبد المجيد. القيم الإبراهيمية ونهاية التاريخ. الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، 2022.
11. الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري، تح: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. ط1 . القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001 ، ج2.

12. عبد السيد، عيسى حسين. "ملة إبراهيم عليه السلام بين اليهودية والإسلام: دراسة مقارنة في أسفار العهد القديم والقرآن الكريم"، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، السودان: جامعة أم درمان الإسلامية، 2007.
13. الفغالي،- عوكر، بولس،- أنطوان. العهد القديم العبري ترجمة بين السطور. ط1. جونيه: المكتبة البولسية، 2007.
14. الكبيسي، محمد عياش. المحكم في العقيدة. مطبعة أنوار دجلة، 2012.
15. الكبيسي، محمد عياش. مجالس النور. ط1 . الدوحة: دار نشر جامعة قطر، 2019 ، ج1.
16. الكتاب المقدس. ط1. لبنان: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط في.
17. مجموعة من المؤلفين. قاموس الكتاب المقدس. هيئة التحرير: د. بطرس عبدالملك و د. جون ألكسندر طمسن والأستاذ إبراهيم مطر. القاهرة: دار الثقافة، 1995.

❖ **المراجع الأجنبية:**

18. The Abraham Accords Declaration", U.S. Department of state, on: https://www.state.gov/the-abraham-accords/.
19. "Tanakh", Britannica, https://www.britannica.com/topic/Tanakh.
20. Durie, Mark.(2021), "Abrahamic Dreaming: Is Abraham a Point of Unity for Islam, Christianity, and Judaism?" Middle east forum", on: https://www.meforum.org/abrahamic-dreaming.
21. **Encyclopaedia Judaica**, Editor in chief Fred Skolnik, (Thomson, Gale), 2ed, Vol.16.
22. Rev, Lyman Abbott. And others. **The Prophets of The Christian Faith**, (New York: The Macmillan Company, 1896).
23. Thistlethwaite, Susan. Stassen, Glen. (2008), "Abrahamic Alternatives to War: Jewish, Christian, and Muslim Perspectives on Just Peacemaking", United States Institute of Peace Special Report, https://www.usip.org/publications/2008/10/abrahamic-alternatives-war-jewish-christian-and-muslim-perspectives-just .

References

❖ **After the Holy Quran**.

• *" Albaba Yusharik fi Salat Bayn Aladyan Dida Kuruna Maghdaban Alkathulik Almutashadidin," Reuters, available at: https://www.reuters.com/article/idUSKBN22Q33E.*

• *"The Abrahamic Family House," Higher Committee for Human Fraternity website, available at: https://2u.pw/wkIoZZBW .*

• *A Group of Authors. Qamus Alkitaab Almuqadas. Editorial Board: Dr. Boutros Abdul Malik and Dr. John Alexander Thomson and Professor Ibrahim Matar. Cairo: Dar Al-Thaqafa, 1995AD.*

• *Abdul Sayed, Issa Hussein. " Milat Iibrahim Ealayh Alsalam Bayn Alyahudiat Waliislam: A Comparative Study of the Books of the Old Testament and the Holy Qur'an," Master's Thesis, Faculty of Theology, Sudan: Omdurman Islamic University, 2007AD.*

• *Al-Baghawi, Al-Hussein ibn Masud. Al-Baghawi Tafsir. Ed. Muhammad Abdullah Al-Nimr and others. Riyadh: Dar Taiba for Publishing and Distribution, 1411 AH - 1991 AD, Vol. 4.*

• *Al-Faghali, Awkar, Paul, Antoine. Aleahd Alqadim Aleibriu Tarjamat Bayn Alsutur. 1nd ed. Jounieh: The Pauline Library, 2007AD.*

• *Aliibrahimiat Aljadidat Khadieat Amrikiat Sihyunia," Union Center for Research and Development, available at: https://2u.pw/0d8Fykzp .*

• *Alkitaab Almuqadas. 1nd ed. Lebanon: The Bible House in the Middle East.*

• *Al-Kubaisi, Muhammad Ayyash. Al-Muhkam fi al-Aqida. Anwar Dijlah Press, 2012AD.*

• *Al-Kubaisi, Muhammad Ayyash. Majalis al-Nur. 1nd ed. Doha: Qatar University Press, 2019, Vol. 1.*

• *Al-Saghir, Abdul-Majid. Alqiam Aliibrahimiat Wanihayat Altaarikh. Rabat: Dar Al-Aman for Publishing and Distribution, 2022AD.*

• *Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. Al-Tabari Tafsir, ed. Abdullah ibn Abdul-Muhsin Al-Turki. 1nd ed. Cairo: Hijr for Printing, Publishing, Distribution, and Advertising, 2001AD, Vol. 2.*

• *Benlamhdi, Youssef. " Aliibrahimiat fi Siaq Albahth Aleaqdii Almueasir: A Critical Analytical Study," Al-Istinad Magazine, Issue 10, pp. 1-37.*

• *Dahman, Abdul-Haq. Aliibrahimiat Bayn Alsiyaqat Aldiyniat Walaistikhdamat Alsiyasia. Istanbul: Al-Mujaddid Center for Research and Studies, 2022AD.*

• *Hassan, Muhammad Ali (2021). " Tafasil Alsalat Aliibrahimiat Alati Sayuadiyha Baba Alfatikan mae Almuslimin Walyahud", Alwatan, available at: https://www.elwatannews.com/news/details/5355752 .*

• *Hassan, Muhammad Khalifa. Ealaqat Aliislam Bialyahudiat Ruyat Iislamiat fi Masadir Altawrat Alhalia. Cairo: Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, 1988AD.*
• *Hassan, Muhammad Khalifa. Tarikh Aldiyanat Alyahudia. Cairo: Dar Quba, 1998AD.*

❖ Foreign references:

• The Abraham Accords Declaration", U.S. Department of state, on: https://www.state.gov/the-abraham-accords/.
• "Tanakh", Britannica, https://www.britannica.com/topic/Tanakh.
• Durie, Mark.(2021), "Abrahamic Dreaming: Is Abraham a Point of Unity for Islam, Christianity, and Judaism?" Middle east forum", on: https://www.meforum.org/abrahamic-dreaming.
• Encyclopaedia Judaica, Editor in chief Fred Skolnik, (Thomson, Gale), 2ed, Vol.16.
• Rev, Lyman Abbott. And others. The Prophets of The Christian Faith, (New York: The Macmillan Company, 1896).
• Thistlethwaite, Susan. Stassen, Glen. (2008), "Abrahamic Alternatives to War: Jewish, Christian, and Muslim Perspectives on Just Peacemaking", United States Institute of Peace Special Report, https://www.usip.org/publications/2008/10/abrahamic-alternatives-war-jewish-christian-and-muslim-perspectives-just .